(٥٦) ممشاد الدِّينوري[١]

ذكر الشيخ ممشاد الدينوري رحمه الله:

كان رحمه الله من كبار المشايخ، ذا خصالٍ حميدة، وصفاتٍ رضية، شيخًا في عصره، وحيدًا في دهره، وله رياضاتٌ ومُجاهداتٌ.

ولا يزالُ بابُ خانقاهه مُغلقًا، فإذا اتّفقَ له ضيفٌ كان يَجيءُ هو إلى خلفِ الباب، ويقول للضيف: مقيمٌ أنت أم مُسافر؟ فإن قال: مقيم، يفتح الباب، ويُعبّرُهُ، ولو قال: مسافرٌ، كان يقول: ليس هنالك مقامٌ؛ إذ نخافُ أن نستأنسَ بكم، ثم لا يكون لنا طاقةٌ في مفارقتك.

نقل أن رجلاً التمسَ منه دعاءً، فقال له: أدخلْ نفسَك من باب معرفة الله تعالى لئلا تحتاجَ إلى دعاءِ ممشاد. فأثّر الكلامُ في قلب الرجل، وقال: أين ذلك الباب؟ قال: حيث لم تكن أنت. فخرجَ الرجلُ من بين الناس، واعتزل عنهم، واجتهد في العبادة والرياضة وتحصيلِ المعرفة حتى حصلَ له حظٌّ من المعرفة، وسكنَ قلبُه بذكر الله تعالى، حتى بسطَ سجّادته على الماء، وجلس عليه، ويجيء إلى ممشاد. فقال ممشاد: ما هذه الحالة؟ فقال: يا شيخ، أنت أَرشدتني إليها، ثم تسأل عنها؟ فالله أوصلني إلى هذا المقام ببركة دُعائك، وأغناني عن غيرِه بفضله وكرمه.

---

(١) طبقات الصوفية ٣١٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٣، الرسالة القشيرية ٩٤، مناقب الأبرار ٦١٤، صفة الصفوة ٤/ ٧٨، المختار من مناقب الأخيار ٥/ ٥٥، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٦٣، طبقات الأولياء ٢٨٨، النجوم الزاهرة ٣/ ١٧٩، نفحات الأنس ١٤١، طبقات الشعراني ١/ ١٠٢، الكواكب الدرية ١/ ٧١٩، وورد اسمه في طبقات الصوفيه، وطبقات الأولياء (ممشاذ).

وممشاد كلمة منحوتة من اسم علم، واسم فاعل: محمد شاد.

وشاد اسم فاعل يعني: مسرور، راضٍ، مبارك وانظر الحاشية (٢) صفحة (٤١٤).

نقل أنه قال: بعد أن علمتُ أنَّ أمورَ الفقر لا تكونُ إلاّ عن حقيقةٍ، تركتُ المُزاحَ معهم، قال: جاء إلينا فقيرٌ، وطلب العصيدةَ، فقلتُ له على وجه المُزاح: الفقرُ[١] وإرادةُ العصيدة! ـ يعني كيف يجتمعا ـ فخرج الفقيرُ من عندنا، وهامَ بالبادية، ولا زالَ يقول: الفقرُ وإرادة العصيدة حتى مات رحمه الله تعالى.

وله كلمات عالية منها أنه قال: الأصنامُ مُختلفةٌ متنوّعةٌ، فكم من الناس أصنامُهم أنفسُهم! وكم منهم أصنامُهم أولادُهم! وكم منهم أصنامهم حرفُهم وصنائعهم! وكم منهم أصنامهم صلاتُهم وصيامهم وزكاتهم! وقلَّ من ينجو من عبادة مثلِ هذه الأصنام إلاّ من ينظرُ إلى نفسه ولا يرى لها محلاً، ولا يعتمد على شيءٍ من أفعاله، ولا يكون راضيًا عن نفسه بما يصدرُ عنها من خيرٍ أو شرٍّ، ويلوم نفسه دائمًا.

قال: الأدبُ رعايةُ حرمةِ المشايخ، وحُرمةِ الإخوان، والخروجُ عن كلِّ شُبهةٍ، ورعايةُ آداب الشريعة.

قال ممشاد رحمه الله: ما دخلتُ على أحدٍ من شيوخي قطُّ إلاّ وأنا خالٍ من جميع أحوالي، وأنتظرُ بركاتِ ما يردُ عليَّ من رؤيته وكلامه، لأنَّ من دخلَ على شيخٍ بحظِّه[٢] انقطعَ عن بركاته ورؤيته وصحبته.

وقال: مِنْ مُصاحبةِ أهل الصلاح يَصلُحُ القلب، ومن مُصاحبة أهلِ الفساد يَفسُدُ القلب.

وقال: خيرُ الرجال من عَبَرَ عن[٣] رؤية النفس، وعن مقامِ الاعتماد على الخلق، ويكون اعتمادهُ في جميع أموره على الله تعالى.

---

(١) في (أ): الفقير وإرادة.
(٢) في (ب): دخل على شيء بخطّه.
(٣) في (أ): من غيَّرَ عن.

وقال: فراغُ القلب هو في التخلّي[١] عمّا تعلّق به أهل الدنيا.

وقال: إن جمعتَ حكمةَ الأوّلين والآخرين، وحصلتْ لك حالاتُ ساداتِ الأولياء كلِّها لا تَظنَّنَّ أنك تصلُ إلى درجة العرفان إلاّ إذا سكنَ قلبُك بالله تعالى، ويكون مُعتمدًا على ما تكفّل الله لك من الرزق وغيره.

وقال: جملة المعرفة في شيئين: الصدق، والافتقار إلى الله تعالى.

وقال: المعرفة تحصلُ على وجوهٍ ثلاثة: الأول: التفكّرُ في الأمور كيف دبَّرها فأحسنَ تدبيرها. والثاني: التفكّر في المقاديرِ كيف قدّرها فأجادَ في تقديرها. والثالث: في الخلقِ كيف خلق الخلائق فأحسنَ خلقها.

وإن أرادَ أحدٌ شرحَ هذه الكلمات الثلاث يكتبْ مجلدًا، ولكن هذا الكتاب لا يحتمله.

وقال: الجمع عبارةٌ عمّا جمع اللهُ الخلائق في التوحيد، والتفرقةُ عبارةٌ عمّا فرّقها في أحكام الشريعة.

وقال: الطريقُ إلى الله تعالى بعيد، والصبرُ عليه شديد.

وقال: الحكماء وجدوا الحكمة بالصبرِ[٢] والتفكُّر.

وقال: أرواحُ الأنبياء في الكشفِ والمُشاهدة، وأرواح الصدّيقين في القرب والاطلاع.

وقال: التصوّفُ صفاءُ الأسرار، والعملُ بما يَرضى به الجبّار، والصحبةُ مع الأخيار بلا اختيار.

وقال: التصوفُ إظهارُ الغِنى، واختيارُ الخمول عن الخلق، وترك ما لا يعني.

وقال: التوكّلُ قطعُ الطمع عمّا يميلُ إليه الطبعُ والنفسُ والقلب.

---

(١) في (ب): هو في الخلق عمّا تعلّق.

(٢) في (أ): الحكمة بالصمت.

قيل له: إذا جاعَ الفقيرُ كيف يصنع؟ قال: يشتغلُ بالصلاة. قيل: فإن لم يقدر؟ قال: ينامُ على الوضوء[١]. قيل: فإن لم يقدر على النوم؟ قال: فإن الله تعالى لا يتركُ عبدَه خاليًا عن القوة.

نقل أنه قيل له في وفاته: قل لا إله إلاّ الله. فتحوّلَ إلى الحائطِ وقال: إلهي، قد فني بك كلِّي، وهذا جزاء من أحبَّك[٢].

قال له شخص: ما فعل الله بك؟ قال: منذ ثلاثين سنة يعرضُ عليَّ الجنةَ، وإنّي لم ألتفتْ إليها، وما نظرتُ إليها.

قيل له في مرض موته: كيف بالُكَ؟ قال: إنّي فقدتُ قلبي وبالي من ثلاثين سنة، والآن ساعةَ يفقدُ جميعُ الصدّيقين قلوبَهم، فأنا كيفَ أجدُهُ؟ فقال هذا، وسلّم روحه.

روّح الله روحه، وكثّر في جوار الأبرار[٣] فتوحه، ونوّر ضريحه.

ونسأل الله تعالى الكريمَ أن يجعلَ بذكره قرارنا، وإليه فرارنا، وفي دارِ النعيم دارَنا، ونُصلّي على محمد وآله أجمعين.

* * *

(١) قوله (على الوضوء) ليس في (أ).

(٢) كذا في الأصل، وهو في مناقب الأبرار ٦١٨:

أفنيـــت كلِّـــي بكلِّـــكْ هـــذا جـــزا مـــن يُحبُّـــكْ

(٣) في (ب): فأنا كيف أجده. فتوحه، ونوّر...